

مقومات الحشد الشعبي في العراق وأثرها في نجاح التجربة

أ.م.د. أسعد كاظم شبيب

الباحث زين العابدين عبد الرحمن نعمة

كلية العلوم السياسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يمكن القول: إن النتائج التي أظهرها الحشد الشعبي على المستوى الميداني الملموس، تقف خلفها منذ التأسيس الى آخر معركة، عناصر تكوين وعوامل مساعدة ساهمت بهذه النتائج بشكل أساسي وجذري، هذه المقومات لم يكن للحشد أن يوجد او يستمر دون وجودها، فهي ساهمت بديمومة القتال واستمرار زخم المعارك من خلال تنوعها وعدتها وعددها، من هنا يتوجب دراستها من خلال تقسيمها لأربعة مقومات بدءاً في: المقومات العقائدية - المقومات الاجتماعية - المقومات العسكرية واللوجستية - الاعلام الحربي.

المطلب الأول: المقومات العقائدية prerequisites doctrinal:

تعني العقيدة ما يعقد عليه القلب، أي الأمور التي يعتقد بها الانسان، وما عقد عليه القلب والضمير". ويقال: له عقيدة حسنة: أي سالمة من الشك^(١)، فالاعتقاد يستعمل بمعنيين احدهما التصديق الجازم المطابق للواقع الثابت وهو ما يسمى باليقين، والثاني هو مطلق التصديق جازماً كان ام لا، مطابقاً كان ام لا، ثابتاً كان ام لا^(٢)، كما تستعمل العقيدة والعقائد في الأمور التي يتعلق بها الاعتقاد أي ان الكمال المتحصل بها هو أن تكون من معتقدات الانسان وهي نفس الاعتقاد^(٣)، وتمتزع العقيدة التي تحملها تشكيلات الحشد الشعبي بين الدينية والعسكرية كونها قوة مسلحة تتكون من مواطنين في تعبئة شعبية تدافع عن الدولة وأفرادها ومقدساتهم ومعتقداتهم. من هنا أصبح لازماً تقسيم المطلب الى محورين:

المحور الأول: العقيدة الدينية لأفراد الحشد الشعبي:

Religious doctrine of personnel popular mobilization

تمثل العقيدة الدينية دوراً بارزاً في حياة الفرد والمجتمع، ولا يمكن للإنسان ان ينفصل عن عقيدته بأي شكل من الاشكال. وتأتي العقيدة الإسلامية الشيعية – التي تقوم على أساس الايمان بالله ونبوة النبي (ص) وإمامة اهل بيته ودور العلماء بعد الائمة – بمقدمة العقائد التي يحملها افراد الحشد الشعبي كون الأغلبية العظمى منهم يتصفون بها مع وجود بعض العقائد الدينية الاخرى كالمسيحية والمندائية، ويتمسكون بهذه العقيدة ويدافعون عنها ويضحون من اجلها، وتمدهم هي الأخرى بالاحاديث والنصوص التي تدعو الى الايمان بتضحية الذات (Self Sacrifice) ووجوب الدفاع (obligation defence) عن وطنهم ومقدساتهم رجاءً للثواب، كما تحفز الفرد على الشجاعة والصبر وعدم الفرار من العدو والدفاع عن مقدساته واراضيه وممتلكاته حتى الموت. وهناك منطلقات ومبادئ تاريخية مهمة في حياة الفرد المُعتدِّ كمقاتل في صفوف الحشد الشعبي تجعله لا يتوانى في تقديم نفسه ضحية لمعتقداته ومقدساته، من أهم هذه المبادئ:

أولاً: الايمان بتضحية الذات (Having faith in Self Sacrifice):

يشير مبدأ تضحية الذات الى استعداد الفرد لتترك حاجاته ومنافعه الشخصية وتحمل المصاعب لتحقيق قيم ومبادئ تقيد المجتمع الإنساني وان كلفه ذلك الجود بنفسه وهو في قمة سعادته والفخر لكون هذا السلوك يحقق مبادئه وأهدافه مما يزيد شعوره بالرضا، اذ ان الفرد ذو الضمير الحي يشعر بالذنب وتأنيب الضمير في حال فشله في تقديم المساعدة للآخرين^(٤)، كما يعرف قاموس آكسفورد هذا المبدأ بأنه "تخلي المرء عن مصالحه وسعادته ورغباته الخاصة، بدافع الواجب أو لخير الآخرين"^(٥) كما ان الشخصية المتصفة بتضحية الذات لها بعض القيم والسلوكيات الاخلاقية تميزها عن غيرها، أهمها:^(٦)

- الايمان بما يستحق التضحية من اجله.
- مساعدة الناس بجهد تطوعي دون منفعة.
- بذل الأرواح من اجل حفظ الحياة (وهذا ما يميزهم عن الانتحاريين الإرهابيين الذي يضحون من اجل الدمار لا من اجل الحياة).
- الصبر والتسامح وتجاوز الأخطاء.

● الصفاء النفسي والروحي

● الاقدام والجرأة على المخاطر في الوقت المناسب.

● الثبات على المواقف وخاصة في الشدائد.

تشير هذه الخصائص الى دور العقيدة التي من شأنها ان تعزز من سلوك تضحية الذات لدى الفرد المؤمن فيها وتعميق ايمانه بها من خلال النصوص التي تتضمنها الشريعة الإسلامية والتي تحت المقاتل المنتمي لمنظومة امنية - عقائدية ويملك اعتقاد عميق بالتضحية عندما تعرض قيمه ومعتقداته للخطر بان يتنازل عن غريزة حب البقاء لكون بقاؤه يصبح دون هدف وكلما ارتفعت الطوعية في تقديم العمل ازدادت القدرة على تحمل المسؤولية بسبب عدم وجود دوافع مادية تحتم على الفرد المقاتل ان ينقيد بها، فهو يشعر ان كل اذى يصيب أي فرد من أبناء وطنه يصيبه ويؤذيه.

ويشير القرآن الكريم الى الايمان بتضحية الذات لا من منطلق الطاعة لله سبحانه وتعالى فقط بل وإصلاح الانسان، في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)^(٧)، وتعني ان الفرد اذا باع نفسه لله لا يريد الا ما اراده دينه وامرت به عقيدته لا هوى له في نفسه ولا اعتزاز له الا بما يعتقد، فسيصلح الله به أمر الدين والدنيا، ويحيى به الحق، ويطيّب به عيش الانسانية، وبذلك يظهر ارتباط الذيل بالصدر في قوله تعالى: والله رؤوف بالعباد، بما قبله، فإن وجود إنسان هذه صفته من رافة الله سبحانه بعباده إذ لولا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل رجال آخرين صفتهم النفاق والافساد لانهدمت أركان الدين، ولم تستقر من بناء الصلاح والرشاد للفرد والمجتمع^(٨)، وينطبق هذا القول على افراد الحشد الشعبي من حيث العقيدة الدينية بانتمائهم للإسلام فإنهم يرون - كما تحتم عليهم عقيدتهم - في تضحياتهم هذه رضا لله رسوله وائمتهم عما يقدمونه ولو كان ما يقدمون انفسهم، وهذا المفهوم للإيمان هو العقيدة التي انزل الله بها كتبه وارسل رسله، وهي عقيدة لا تتبدل بتبدل الزمان او المكان ولا تتغير بتغير الافراد او الاقوام.

ثانياً: وجوب الدفاع (obligation defence):

هو واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره، وحقه في حماية ماله أو مال غيره، من كل اعتداء غير مشروع بالقوة اللازمة لدفع هذا الاعتداء" ويعني ان يرى الفرد بان هناك تكليف شرعي بوجوب الدفاع عن عقيدته وعرضه وارضه من أي اعتداء يخل بها او يعرضها للهلك والهلاك^(٩) كما يرى فقهاء الشريعة ان هذا الوجوب تشريف من الله للإنسان وتكريم له؛ لأنّه يرمز إلى ما ميّز الله به الإنسان من عقل، وقدرة على بناء نفسه، والتحكّم في غرائزه، وقابليته لتحمل المسؤولية، فإن أدّى الإنسان واجب هذا التشريف، وأطاع وامتنل شرفه الله بعد ذلك بعظيم ثوابه، وإن قصر في ذلك وعصى كان جديراً بعقاب الله وسخطه؛ لأنّه ظلم نفسه وغيره. (١٠)

وهناك عشرات النصوص في العقيدة الاسلامية ترى ان الدفاع الشرعي^(١١) عن النفس واجب على كل مسلم ولا يجوز ان يركن المؤمن الى الذلة والتخاذل في ذلك^(١٢) هذه المسؤولية لا تقتصر على جانب الرؤية والمفهوم، بل تحتاج الى تطبيق مثالي على ارض الواقع مما حدا بالمقاتل ضرورة ان يجسد هذه المسؤولية من خلال ما يتحلى به من الاخلاق العسكرية المنسجمة مع تعاليم ومبادئ القرآن الكريم ونصوص السنة الموثوقة التي حرمت الدماء والاعراض والأموال، وما لذلك من دور مهم في دفع العدوان والدفاع عن النفس ومنع الفتنة ونشر الامن في المجتمع^(١٣). فهناك حقيقة ثابتة وهي انه عند احتمال ترتب الضرر من دون يقين بحصوله لا يحسن بالعاقل التغاضي عنه والتسامح في امره والركون الى عدمه، بل لابد من الاحتياط لدفعه بحيث يأمن من حصوله لاسيما مقدسات الفرد^(١٤).

ومن الأسباب المفصلية التي دعت المواطنين العراقيين ان يخرجوا للتطوع ومقاتلة الإرهابيين للدفاع عن أراضيهم ومقدساتهم النصوص التي تدعو للدفاع عن المقدسات ووجوب عمارتها وحمايتها، وتزخر عقيدة المسلمين الشيعة بهذه النصوص اهمها منها ما "ورد عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبد الله الصادق (الامام السادس لدى الشيعة الامامية) فقلت له: ما لمن زار قبره (علي ابن ابي طالب) فقال يا أبا عمار: حدثني ابي عن ابيه عن جده الحسين بن علي عن الرسول بقوله: أن النبي (ص) قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدنا؟ قال لي: يا أبا

الحسن إن الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصه من عرصاتهما، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثر زيارتها تقرباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (١٥)، هذه النصوص التي يتلقاها الفرد الشيعي في عقيدته الدينية تجعله يؤمن بأن هذه المراقد المنتشرة في أرجاء العراق من أهم مقدساته ويجب الدفاع عنها مهما كانت النتائج. وترتبط عملية التقديس للمكان بما يكرس له هذا المكان من غايات واهداف دينية لها صلة مباشرة بالدين، فإن هذا التقديس يعتبر تقديس للأشخاص (تقديس الكاريزما) الذين يمثلون أوجه الدين واساس العقيدة بالنسبة للأفراد، هذه المقامات توضح عملية الارتباط بين المكان والدين (١٦)، لذا فإن المقاتل المتأصل من فرد عقائدي يندفع للقتال بسبب ما يحتم عليه اعتقاده من دفع المخاطر العقائدية التي اشعره بها تنظيم داعش حينما اعلن انه سينقل الحرب الى كربلاء والنجف الاشرف واصفا المدينتين المقدستين بالنجف "الاشرك" وكربلاء "المنجسة"، وقال التنظيم في الوثيقة التي وردت تحت عنوان "وثيقة المدينة" ونشرت في عدد من مناطق محافظة نينوى - وفي نفس التوقيت الذي صدرت في "فتوى الجهاد الكفائي" - بتاريخ ١٤ شعبان ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠١٤/٦/١٣ م وجاء فيها "إن موقفنا من المشاهد والمراقد الشريكة والمزارات الوثنية أن لا ندع تمثالاً إلا طمسناه ولا قبراً مشرفاً إلا سويناه" (١٧)، وغيرها من الايحاءات الخطابية الموجهة لعقائد المسلمين وغيرهم من الطائفة المسيحية التي هدم داعش كنائسها وتراثها وسبا نساءها، والتي كانت سببا عقائديا في شحن النفوس لغرض الانتقام من هذا التنظيم الذي يستهدف مقدساتهم وشعائهم الدينية، والذي شكل لاحقا عقيدة إسلامية - عسكرية يؤمن افرادها بالقيم السامية (احكام تكليفية ملزمة) لا تقبل الشك فيها

لدى معتقدها، جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، تمثل هذه القيم منبعا لإرادة القتال، وتشكل في نفوس الافراد قوة ذاتية تحركه الى الفدائية في القتال الى درجة استرخاى النفس في سبيل هذه القضية.^(١٨) ويرى الفقه الشيعي في الدفاع الشرعي انه "لا يستهدف من تشريعه ما تستهدفه الحروب في المجتمعات الجاهلية من التسلط والاحتلال، وتحصيل الغنائم والأموال والغلبة العنصرية أو الفئوية، ولا ما ترتكبه الدول في هذا العصر من هدم المباني وتخريب المدن وقتل النساء والأطفال والشيخ والمرضى والأسرى والعزل والمدنيين الآمنين بالهجوم عليهم ليلاً ونهاراً بالسلاح والقنابل والصواريخ والطائرات وغيرها من أجل الاستيلاء على بلاد الغير سياسياً واقتصادياً وثقافياً"^(١٩) بل إقامة الدين وحفظه وبقائه واستمراره، وبقاء الأمة الإسلامية، وصيانة كيانها من السقوط والانهايار^(٢٠)

وهناك مجموعة من الاحكام الجهادية في حال وجوب الدفاع الشرعي أهمها^(٢١):

١- التهيئة والاستعداد للجهاد وتحصين بلاد المسلمين.

٢- البدء بقتال من يلي المسلمين من الكفار.

٣- نصب العيون والجواسيس على العدو.

٤- القبول بالسلم، إن جنح الآخر بالسلم والعدول عن القتال.

٥- التحصن من العدو.

٦- حرمة قتل النساء والأطفال والمجانين والعجزة

٧- حرمة قطع الأشجار وتخريب الزرع الا بالضرورة.

٨- حرمة التمثيل والغدر بالمعتدين والسرقه من أموالهم.

المحور الثاني: العقيدة التعبوية العسكرية (military doctrine):

يمكن تعريف العقيدة العسكرية بطرق مختلفة وفي دول ومؤسسات عسكرية مختلفة، فهذه التعريفات المتنوعة للعقيدة العسكرية تتأثر بالعوامل الأمنية التي تواجه تلك البلاد الى جانب التوجهات والتطورات التكنولوجية القائمة والمستجدة واختلاف الوسائل العقلانية والعملية لصياغة وتوثيق العقيدة العسكرية بشكل نهائي.^(٢٢)

ويعرف أستاذ السياسة والعلوم العسكرية في جامعة أكسفورد كولين جراي (Colin Gray) العقيدة العسكرية التعبوية بأنها "مجموعة من النظريات والمبادئ والاستراتيجيات التي تهدف الى تعزيز التفكير الإبداعي والابتكاري داخل المؤسسة العسكرية لإيجاد حلول غير نمطية في مواجهة المواقف القتالية المتعددة علاوة على إمدادها المؤسسات العسكرية بأساليب قيام القوات المسلحة بتنفيذ العمليات المختلفة ووضع دستور محدد يستخدمه القادة العسكريين وواضعي الخطط القتالية أثناء إدارتهم للمعارك"^(٢٣)، كذلك يعرفها حلف الناتو (NATO) بأنها " المبادئ الأساسية التي توجه بها القوات العسكرية أفعالها لدعم الأهداف التي ترجو تحقيقها، والاساس الفلسفي للإجراء الذي تتخذه القوات العسكرية والأسباب الكامنة وراء هذا الإجراء "^(٢٤)، وبمعنى أوضح هي مجموعة من القيم والمبادئ الفكرية التي تهدف الى إرساء نظريات العلم العسكري وعلوم فن الحرب، لتحديد بناء واستخدامات القوات المسلحة في زمن السلم والحرب بما يحقق الأهداف والمصالح الوطنية، ولكل دولة عقيدتها العسكرية الخاصة بها بما ينسجم مع ظروفها السياسية والاقتصادية والبشرية والتكنولوجية والجغرافية لذا فهي ليست ثابتة وإنما تتغير تبعا للعوامل المؤثرة في بنائها"^(٢٥) وقد لوحظ جليا بعد الاحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣ وحل الجيش العراقي والقوات الأمنية وإعادة تشكيلها من جديد دون وجود لأي عقيدة عسكرية محددة وإنما باستراتيجية واحدة وهي محاربة الإرهاب وفق النظام العسكري الأمريكي الذي تميز بانه تقليدي وعاجز في حسم حروب العصابات^(٢٦)، حيث ان الاشراف الأمريكي على تدريب الجيش العراقي وتأهيله، كان مخططا له ان يبقى مستوى فاعلية وقدرات وتدريب وتأهيل المؤسسة العسكرية دون الطموح، والغرض من هذا إبقاء الجيش غير قادر على أداء المهمات الأمنية في العراق، وتنقصه الخبرة لكي تتم الاستعانة بشكل مستمر بالقوات الامريكية، ويكون ارسال قوات إضافية للحرب في العراق تحت ذريعة "الاستعانة بمستشارين عسكريين" في الحرب على الإرهاب^(٢٧).

لذا فان الاستراتيجية العسكرية العراقية كانت تقليدية ولم تستطع مجابهة ما يسمى بحرب اللاتماثل (Asymmetric Warfare) او الجيل الرابع للحروب (Fourth-Generation Warfare) والتي

استخدمها داعش، كما يعرفها أوستن لونج (Austin Long) " بانها: حرب تحددها التباينات الكبيرة بين المقاتلين في القوة العسكرية الكلية وفي طريقة تنظيم القوة العسكرية وتوظيفها على حد سواء (٢٨) لذا فقد ظهر الحشد الشعبي بأفراده المتشبعين بالعقيدة العسكرية التعبوية التي كانت في تأصيلها "عقيدة دينية - عسكرية " تحمل مبادئ الدفاع عن الأرض والمقدسات والتضحية في سبيل الأوطان، واستطاع ان يقابل العقيدة الدينية لتنظيم داعش، حيث ان استرخا ص النفس لدى افاد الحشد الشعبي (رجاء للثواب) جعله يقاتل تنظيم داعش في بيئة جغرافية غريبة عنه دون أي مقابل مادي، اذ تشير احوال مقاتلي الحشد الشعبي في الأشهر الأولى الى عدم وجود رواتب ومخصصات مالية شهرية لأفراده المتطوعون ولم يحصل الجرحى على الرعاية الصحية الكاملة ولا ذوو الشهداء على حقوقهم وتعويضاتهم المالية والمعنوية، في المقابل لم يتنازل هؤلاء المقاتلون عن مواقعهم العسكرية واستمرارهم في تحرير المناطق منذ تاريخ تشكيل الحشد الشعبي الى حين صدور القرار رقم (١٣٨) في ٢٠١٥/٤/٨ (٢٩) .

خلاصة ذلك تتجلى في امتزاج العقيدة الدينية بالعقيدة العسكرية لانهما تشيران (من حيث المفهوم) الى مبادئ واستراتيجيات لتحقيق الأهداف المأمولة من تشكيل الحشد الشعبي في تحرير الأراضي التي استولى عليها تنظيم داعش، حيث ان اتفاق العقيدة الدينية والعسكرية على وحدة الهدف يؤدي بالنتيجة الى نجاح الوصول اليه.

وهناك عدة نتائج حققها الحشد الشعبي امتزجت فيها مبادئ العقيدة العسكرية والدينية وتشكلت على اثر هذا الامتزاج، يمكن اجمالها بما يلي:

- ١- شن هجمات خاطفة وحاسمة ومباغطة على المواقع الضعيفة لتنظيم داعش وابقاع إصابات مادية وبشرية كبيرة مما له اثر في بث الخوف والرعب في المواقع القوية ومن ثم سرعة انهيارها.
- ٢- اجادة حرب العصابات وقتال المدن، بسبب وجود خبرات سابقة (في المقاومة للاحتلال) لدى اغلب الفصائل المسلحة.

٣- عدم الانخداع والتخوف من الحرب النفسية والإعلامية التي يشنها تنظيم داعش لما يملكه افراد الحشد الشعبي من عقيدة الايمان بالتضحية ووجوب الدفاع.

٤- معرفة العدو وطرق تفكيره من خلال معرفة عقائده وانعكاساتها على نفسية المقاتل في صفوف تنظيم داعش.

٥- التنسيق العالي بين قوات الحشد الشعبي والقوات الأمنية والجيش العراقي مما يؤسس لامتزاج الدوافع العقائدية والدوافع العسكرية لكل منهما.

٦- سرعة فهم الطبيعة الجغرافية للمدن من قبل قيادات الحشد الشعبي وتصنيفها بخرائط مفصلة بكل حي من احياء المدن التي سيطر عليها التنظيم.

٧- عدم التقيد بأوامر عسكرية روتينية تسبب البطء والتعثر في حسم النتائج الميدانية السريعة.

٨- عدم قدرة تنظيم داعش على اختراق صفوف التشكيلات العسكرية للحشد الشعبي وعجزه عن الحصول على عناصر خائنة تعمل من داخل الحشد الشعبي لصالح التنظيم بسبب قوة العقيدة الدينية لدى افراده ووضوح العقيدة التي يحملها التنظيم الارهابي تجاه الحشد الشعبي.

المطلب الثاني: المقومات الاجتماعية (Social prerequisites):

يقصد بالمقومات الاجتماعية الأسس التي يرتكز عليها البناء الاجتماعي للمجتمع؛ وان المجتمع بوجود هذه الاسس يظهر للعيان، ويتمكن من القيام بالعمليات الاجتماعية وينمو ويتطور ويكون قادراً على إشباع احتياجات أفراد وإقامة علاقات مع المجتمعات الإنسانية الأخرى، هذه الأسس تؤثر وتتأثر بالمقومات الأخرى (السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية...) (٣٠)

وتصنف مقومات المجتمع الإنساني إلى نوعين أساسيين (٣١) :

أولاً: المقومات التكوينية (prerequisites Structural):

تعني المقومات التكوينية العناصر أو العوامل التي ينبغي أن تتوفر في أي مجتمع أو تجمع بشري لكي يتحول ذلك المجتمع من شكل غير منظم إلى شكل منظم، وتتمثل هذه العناصر بالأرض والافراد، الضوابط والقيم الاجتماعية، واللغة والتاريخ والمصير المشترك أو الأهداف المتبادلة.

ثانياً: المقومات الوظيفية (Functional prerequisites):

تعني المقومات الوظيفية مجموعة الأنساق الموجودة في المجتمع والتي تؤدي أغراض محددة، ويتكامل هذه الأنساق لتكون البناء الاجتماعي أو النسق الاجتماعي أو النسيج الاجتماعي وتحدد خصوصياته. ومن حيث ان لكل مجتمع مقوماته فان اهم المقومات الاجتماعية للمجتمع العراقي ما يلي:

١- الأرض والافراد (Personnel and land): تؤكد عالمة الجغرافية - الاجتماعية الين تشرشل او السيدة سيمبل (Ellen Churchill Semple) بان "الأرض تساهم بشكل فاعل في صنع صفات الإنسان؛ فهي بجغرافيتها ومناخها تقدم له مهمات محددة يتوجب عليه أداؤها ليتمكن من الاستمرار بالحياة، وعليه التأقلم مع ظروفها والدفاع من اجلها، وهي تقدم له المعضلات التي عليه أن يفكر ويتعاون مع الآخرين من أجل الوصول إلى حلول لها، تفيدته هو كفرد وتفيد المجموعة ككل فالإنسان بالآخر هو ابن بيئته"^(٣٢) هذا يوضح مدى ارتباط الانسان بارضه بعيدا عن طبيعتها الجغرافية اذ ان الامر اختيار بشري كما وصفها هارلان باروز (H. Parows) في ايكولوجيا البشر (human ecology) بقوله "إن تلائم الانسان مع بيئته لا ينبثق من الطبيعة وانما من الاختيار البشري" واكد بان " العلاقة بين الافراد والأرض من اجل الحصول على مقومات حياتهم هي الأشد مباشرة وقوة، وان جل العلاقات الأخرى تنبثق من تلك العلاقات"، لذا فان ارتباط الفرد بأرضه يوضح انتمائه الجغرافي - الاجتماعي الذي يحتم عليه الدفاع عنها من أي عدوان او خطر يهدد بسلبه إياها فهي من تضمن له عيشه وتأمين مصادر حياته"^(٣٣).

وقد وصف عالم الاجتماع علي الوردي حالة ارتباط الفرد العراقي بارضه بانها " مظهر التفاخر بالقوة والتباهي بها وحب السيطرة وشدة العصبية لأرضه، فهو مستعد ان يتحمل عظم المشتاق في سبيل ذلك"^(٣٤). وهو ما يمكن مقارنته مع الدوافع التي ادت الى خروج الفرد العراقي للدفاع الشعبي، العمل على تحرير

الأرض التي يرى بانه قد احتلت من قبل تنظيم داعش، وان الارتباط الايكولوجي (relation ecology) بالأرض التي نشأ وترعرع فيها يحتم عليه هذا الدفاع وإعادة ارضه وتأمينها بأي وسيلة امام عجز من أوكلت لهم مهمة حماية الأرض من الاعتداء، مما يوضح ان عنصر الأرض يمثل اهم مقومات المقاتل في صفوف الحشد الشعبي بالنسبة لشخصية الفرد العراقي كما وصفها علي الوردي بقوله: التفاخر بالقوة والتباهي بها وحب السيطرة وشدة العصبية المحلية.

٢- الضوابط والقيم الاجتماعية (the controls and social values): تعتبر القيم الاجتماعية مجموعة من المبادئ الاخلاقية والسلوكية التي تضبط وتنظم سلوك الفرد وعلاقته بالمجموعة بما يضمن حرية وكرامة الفرد، وبما لا يؤثر على حرية ومعتقدات المجتمع الذي يعيش فيه، هذه المبادئ عبارة عن معايير متعارف عليها بين افراد المجتمع ومصادرها متنوعة منها ما ضم نصوص الكتب السماوية او اجتهادات اشخاص ذو وجهة اجتماعية او سلوكيات متعارف عليها عبر تاريخ طويل، وتكون هذه القيم مرتبطة بظواهر المجتمع وتحدد كلفيته وفق التفاعل مع محددات اخرى.^(٣٥)، ويمكن تعريفها بانها " معيار اجتماعي متصل بالنهج الأخلاقي للفرد والجماعة يُقيم موازين السلوك ونهج الأفعال كما يتخذها دليلاً ومرشداً لمعرفة المرغوب فيه والمرغوب عنه والحسن والسيء. (٣٦)

ان المجتمع الذي يواجه تغييرات معينة قد تطرأ عليه عادات وقيم اجتماعية وسلوكية مناقضة لما اعتاد عليه المجتمع مما يخلق حالة من التوتر الاجتماعي^(٣٧)، في حين تبقى مجموعة من المبادئ والقيم في افراد معينين لم يخضعوا لهذه التغييرات، اذ ان القيم لها وجودان احدهما ذهني والآخر مادي، وان هدم الوجود الذهني للقيم يبدا بهدم الوجود المادي واذا تسامح الناس عليها هان سقوطها من اذهانهم، لان حركة المجتمع متسقة مع القيم التي اعتاد عليها افراد^(٣٨)، والمجتمع العراقي حين تعرض لتغييرات سياسية وعسكرية واجتماعية بعد ٢٠٠٣م ادت الى ضعف وتغيير بعض القيم الاجتماعية للفرد العراقي لما حل بظروف اجتماعية قاسية على الاسرة العراقية بفعل الاحتلال الامريكي وانتشار الارهاب والنزاعات الطائفية والعرقية والاستعداد الديني، باطراد ذلك مع سياسة الافقار والتجهيل والترويج لقيم التخلف (السحر والخرافات

والدجل...) لغرض افساد المجتمع وازعاج القيم الاجتماعية الاصلية^(٣٩)، من هنا برز دور الاسرة والعشيرة والمدرسة في اظهار القيم النبيلة التي اعتادها المجتمع العراقي اذ ان له خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات والتي تؤثر بدورها في تكوين شخصية الافراد المنتمين له واخرج افراده المتمسكين بالعادات والقيم الاجتماعية التقليدية بمفهوم الصفة او نخبة المجتمع حسب تصور نيتشه^(٤٠) (الأشخاص المخاطرون بحياتهم من اجل الإنسانية)، يمكن بيانها بما يأتي:

• العصبية او الحمية (fanaticism): تشير العصبية الى المحاماة والدفاع عن يلزمك امرهم، وحماس شديد في الميول لهم والدفاع عنهم، وهي قومية وقبلية^(٤١)، ويقال: عُرِفَ بعصبية لأصله اي شدة الارتباط بأهله ونصرتهم والتعصب لهم ولتقاليدهم ومبادئهم^(٤٢) اما ابن خلدون فقد عرفها على انها: "النعرة" على ذوي القربى واهل الارحام ان ينالهم ضيم، او تصيبهم هلكة^(٤٣). وعرفها اخرون بانها: "رابطة اجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معاً، تربط افراد جماعة ما، قائمة على القرابة او المجاورة او غيرها، وهي تشتد عندما يكون هناك خطر يهدد اولئك الافراد^(٤٤)، فالفرد العراقي وفق ما وصفه علي الوردي: "انه امام نظام للقيم يؤمن بالقوة والبرسالة وتسود فيه قيم الإباء والشجاعة والكبرياء^(٤٥)" وهذه الصفات او السلوكيات الاجتماعية هي ارث حضاري للأفراد العراقيين، وفي الاخر هي ايجابية في حال تمثيلها بتجربة افراد الحشد الشعبي بمدلولات الشجاعة والبرسالة التي تشير الى التعصب المحمود (الاغاثة) او (الغيرة) لأبناء الوطن في حمايتهم من خطر الإرهاب حين يتعرض أبناء وطنهم - تحت سيطرة داعش - لأنواع العذاب الذي يمارسه التنظيم ضدهم.

• القيم الأخلاقية (ethics values): أن مفهوم الأخلاق في اللغة يدور حول السجية، والطبع، والمروءة، والدين، وهذا يدل على أنها ملكة فطرية في الإنسان خلقت معه، إلا أن هذه الأخلاق قد تتغير من خلال الممارسة المستمرة، فتصبح الصفات الطارئة حينها صفات مكتسبة يتصف بها، عادة تصدر عنه بصورة تلقائية فهي العلم المعياري الذي يحدّد للإنسان السلوك الفاضل أو ما ينبغي أن يكون^(٤٦) كما "تبحث في القيم الخلقية التي تزن بها سلوك الأفراد^(٤٧) وتسير الأخلاق الفرد نحو الاهتمام بالآخرين والبحث عن حالة

امن المجتمع عبر السلوكيات التي يمارسها في حماية مجتمعه من انتشار الرذائل والمشكلات الاجتماعية مثل السرقة والنصب والاعتداء على الآخرين والتسبب بترويعهم وتخويفهم، وهناك تفرعات أخلاقية تمثل منهج الاخلاق أهمها الشرف والنجاسة والسخاء وحب الخير للآخرين تمثل الروح المعنوية للأفراد^(٤٨) وهي تكون بشكل أساسي في الجماعات المقاتلة الشعبية التي تقل فيها الصفة الإلزامية^(٤٩) وينطبق ذلك على افراد الحشد الشعبي كونهم من الفئات الشعبية المقاتلة التي تدافع عن مبادئ أخلاقية كان قد انتهكها الإرهاب بحق أبناء وطنهم فقد وضع مقاتلو الحشد الشعبي صور متعددة للتعامل الأخلاقي مع ازمة النازحين بمختلف شرائحهم وقومياتهم مما حدا برئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي وغيره من الشخصيات السياسية والعسكرية والمنظمات الدولية التي أشادت بدور الحشد الشعبي الإنساني في معارك التحرير واشتهرت في الاعلام عدة صور لأفراد منه "يقومون بغسل أرجل أطفال نازحين" واخرون "يقومون بإطعام النازحين بأيديهم" وغيرها من الصور.^(٥٠)

• النخوة او المروءة (Morality) : ترادف مفردة النخوة في اللغة العربية "المروءة" أي كمال الرجولة، وهي صفة نفسية تحمل الانسان على الاخذ بحميد الاخلاق وترك رديئها، وفي ضبط المروءة عبارات متقاربة، منها: أن صاحب المروءة هو الذي يصون نفسه عن الأدناس ولا يشينها عند الناس أو الذي يتحرز عما يستخر منه ويضحك منه أو الذي يسير بسيرة أمثاله في زمانه ومكانه فمن ترك المروءة لبس ما لا يليق، وتفسر المروءة باتباع محاسن العادات واجتناب مساوئها وما تنفر عنه النفس من المباحات ويؤذن بدناءة النفس^(٥١) وهذه من عادات المجتمع العراقي عموما والريفي خصوصا التي تحمل الافراد على اتباع التقاليد والعادات الحسنة في المجتمع ومنها النخوة في الدفاع عن الوطن والافراد الذين يشتركون في نفس الارض.

المطلب الثالث: المقومات العسكرية واللوجستية (Military and logistical perquisites):

تأتي المقومات اللوجستية كعامل دعم ومساندة للمقومات العسكرية، فمن المأثورات الكلاسيكية الشهيرة قول نابليون بان " الجيوش تمشي على بطونها"، وهو ما يبدو صحيحا من الناحية الغذائية واللوجستية لكي تبدأ القوات عملياتها الهجومية وتعززها^(٥٢)، لذا فان المقومات اللوجستية تكامل العسكرية وتعزز من احتمالات

نجاحها، وقد تعددت عمليات الدعم اللوجستي التي استحصل عليها الحشد الشعبي نظرا لأنه يحظى بمقبولية واسعة من الشعب العراقي لأسباب متعددة أهمها: كونه الوسيلة الأكثر نجاحا في محاربة تنظيم داعش وتمثيله لأغلب طوائف وفئات المجتمع العراقي، من ذلك لابد من عرض المقومات العسكرية واللوجستية بمحورين وفق ما يأتي:

أولاً: المقومات العسكرية (Military perquisites)

تعد المقومات العسكرية مجموعة خصائص تتواجد في الافراد الذين يشكلون قوام القوة العسكرية وأسباب كسب او خسارة الحروب التي يخوضها، والحشد الشعبي كجيش رديف وقوة شعبية تختلف مقوماته - حسب المجتمعات التي ينبثق منها - عن الجيوش الاساسية او النظامية التي تمثل الدولة، ومن اهم هذه المقومات:

١- الاستعداد النفسي للحرب (Militarization)

تحوي بيئة المجتمع العراقي على مقومات عسكرية عديدة كقدرة غالبية افراده على استخدام السلاح وخبرتهم المتراكمة في العمل العسكري بسبب الحروب التي تعاقبت على العراق وما سبقها من عمليات التجنيد الالزامي وتشكيل الجيوش الرديفة (الجيش الشعبي) واستخدام العنف السياسي والعسكري ضد المواطنين في فترات تاريخية امتدت منذ تشكيل تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م، وانشاء الجيش الوطني الذي استولى على السلطة بقيادة عبد الكريم قاسم^(٥٣) ثم انقلاب حزب البعث بقيادة صدام حسين والحروب التي دخلها العراق مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨م) ودولة الكويت (١٩٩١م)^(٥٤)، الى حين الإطاحة بالنظام البعثي في العراق عام (٢٠٠٣م) مما اضفى الصفة العسكرية على المجتمع العراقي او ما يطلق عليه بعسكرة المجتمع^(٥٥) (Militarization) ويقاربها في المعنى مصطلح (Militarist) الذي يشير الى تشرب الروح الحربية والنزعة القتالية^(٥٦).

يمكن القول: إن هذه الصفة التي طغت تقريبا على المجتمع العراقي جعلته على استعداد نفسي للحروب وقادر على حمل السلاح فيما إذا تعرض وطنه للاعتداء من أي عدوان خارجي، لذا فقد رأينا الكثير من القادة العسكريين في الحشد الشعبي قد اخذوا زمام القيادة ونجحوا في تحرير العديد من المدن التي سيطر

عليها تنظيم داعش في معارك قادها الحشد الشعبي بالتنسيق مع القوات الأمنية العراقي في فترات زمنية قصيرة وعاجلة.

٢- رواج الأسلحة (Weapons boom):

ذكر الباحث في معهد الدراسات الدولية وعميد كلية الحقوق بجامعة هارفارد جوزيف ويلر (Joseph H. Weiler) في دراسة أعدّها المعهد في (٢٠١٤/٦/٣٠م) إلى "أن اطاحة قوات التحالف الدولي للنظام السابق أدت إلى انتقال أكثر من سبعة ملايين قطعة من السلاح الخفيف إلى أيدي أفراد عاديّين في العراق، أي نحو ٣٠ قطعة سلاح ناري لكل مئة مدني عراقي، فيما قدرت القوات الأمريكية وزن الأسلحة غير المرخصة المنتشرة في الشارع العراقي بـ ٦٥٠ ألف طن معظمها من المسدسات والرشاشات من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة" ^(٥٧)، وجاء انتشار الأسلحة في العراق بفعل التغييرات السياسية والعسكرية التي جرت في العراق بعد عام ٢٠٠٣م بأنواعها المتعددة فقد وصل الامر الى حصول بعض العشائر على أسلحة ثقيلة من نوع (مدفع - قنابر هاون - مقاومة طائرات وغيرها من الاسلحة، والتي عدت - رغم مساوئها في النزاعات العشائرية - من الإيجابيات) ^(٥٨)، حيث تمت الاستفادة منها من قبل الحشد الشعبي في تزويد افراده بالأسلحة التي تمكنهم من خوض المعارك القتالية، حيث ذكرت مديرية الحشد الشعبي ان " الكثير من افراد الحشد الشعبي يقاتلون بأسلحتهم الخاصة (الشخصية) وذلك ما يسهل عملية تزويد الافراد بالأسلحة لمواجهة داعش بسبب الظرف الطارئ الذي مر به العراق في استيعاب اعداد المتطوعين التي وصلت في الأيام الأولى الى مليون متطوع" ^(٥٩)، فلا يمكن للمؤسسة الأمنية ان تستوعب في فترة قياسية هذه الاعداد التي أقدمت على التطوع في صفوف الحشد الشعبي وان تؤمن لهم كافة الأسلحة التي يحتاجها المقاتلون في معاركهم لتحرير الأراضي العراقية التي استولى عليها التنظيم.

ثانياً: مقومات الدعم اللوجستي (logistical support)

أثبت التاريخ ان الدعم اللوجستي الجيد يخلق قوة وكفاءة عالية لدى المقاتلين، وان عدم التجهيز الجيد بمؤن قليلة او رديئة يؤدي الى فشل العمليات العسكرية ويضعف من قدراتهم القتالية، لذا فان مفهوم الدعم

اللوجستي في حالة الحرب يعرف بأنه احد الحالات التطبيقية للعلوم العسكرية (Military Science) التي تعنى بمعالجة عمليات الاقتناء والنقل والتجهيز للمواد والمؤن اللازمة للأفراد اثناء العمليات العسكرية^(٦٠)، فيما يعرفه آخرون بأنه تخصيص فرق معينة تقوم بتخطيط وتنفيذ عملية نقل الأسلحة والمعدات والمواد والاحتياجات العسكرية في أوقات السلم والحرب للقطعات العسكرية لإدامة استمرار الافراد في أداء واجبهم العسكري^(٦١)، مما يعني ان أداء المقاتلين يتوقف على كمية واستمرارية الدعم الذي يصل الى الجبهات العسكرية، وفي اللوجستية العسكرية يحدد الخبراء كيف ومتى سيتم نقل الموارد إلى الأماكن التي يحتاجونها والتحكم في إيصال الموارد هو أمر حاسم في استراتيجية المعركة بما أن القوات المسلحة لا تستطيع الصمود بدون الطعام او الوقود والذخيرة او غيرها من الاحتياجات.

اما في القتال البري الذي خاضه الحشد الشعبي ضد تنظيم داعش، فان الأخير قد تمكن من الاعتماد على الموارد والمخازن العسكرية التي استحوذ عليها في احتلاله المدن وبكافة الفئات والانواع، مما يوعز الى عدم احتياجه عمليات النقل والتأمين، الامر الذي يتطلب ان يؤدي الدعم اللوجستي مهمة الاقتناء والنقل والايصال، وهي في الاصل مهمة الحكومة العراقية وفق الامر الديواني رقم (٤٧) الصادر من رئاسة الوزراء بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٨ م، بان تتولى هيئة الحشد الشعبي المرتبطة برئاسة الوزراء "مسؤولية التجهيز والتسليح"، والتي تعد من اهم مرتكزات الدعم اللوجستي للمقاتلين.

بيد ان مقومات الدعم اللوجستي التي حصل عليها الحشد الشعبي تأتي من مصادر متعددة منها الدوائر الحكومية والعتبات المقدسة ومواكب الخدمة وهيئات ومؤسسات دينية وإنسانية، اذ لم تملك المؤسسات الأمنية والإدارية والخدمية الحكومية من القدرة على كفاية مؤن افراد الحشد الشعبي، لذا فقد استعان الحشد الشعبي بعد قطع خطوط الامداد بهذه المواكب والمؤسسات التي انطلقت من اغلب المحافظات العراقية، ويمكن لنا بيانها مما يلي:

١- مواكب الدعم اللوجستي: تعتبر مواكب الدعم اللوجستي من مؤسسات المجتمع المدني التي تقوم على التطوع والتبرع بجهود شخصية واشتراكات مالية من مواطنين مدنيين، وهي عبارة عن محطات لاستراحة

الزائرين تتخذ من المساجد والحسينيات مقارا لها، عملت هذه المراكز على دعم الحشد الشعبي عسكريا وماديا ومعنويا وايصال المواد الطبية والعسكرية والغذائية الى السواثر الامامية لمقاتلي الحشد الشعبي إضافة الى زيارة عوائل الشهداء وتكريمهم، وتكفل علاجات بعض الجرحى، وبلغ عددها في عموم العراق اكثر من (٨٠٠) موكب مخصص لدعم الحشد الشعبي والقوات العسكرية من الجيش والشرطة الاتحادية وغيرها^(٦٢).

٢- المؤسسة الدينية: اطلقت مكاتب المراجع في النجف الاشرف توصيات وحملات متعددة لدعم الحشد الشعبي، أهمها حملة "الأجلكم" وانطلقت اكثر من ٥٠٠ "قافلة" لدعم اللوجستي تحمل المواد الغذائية والعينية والطبية، إضافة الى دعمها للنازحين من مناطق القتال^(٦٣)، كما وجهت المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد السيستاني بضرورة دعم المقاتلين بالدعوات على لسان ممثلها في كربلاء السيد احمد الصافي بقوله: "لقد كان للدعم المادي والمعنوي من بعض الاخوة الميسورين في شد عزيمة الاخوة المقاتلين"، وحث على "مواصلة الدعم بكل اشكاله سواء من الحكومة المركزية او بعض الاخوة حتى يتم القضاء على الإرهاب"^(٦٤).

٣- المؤسسات الحكومية: عملت المؤسسات الحكومية بعد صدور قرار رئاسة الوزراء رقم (١٣٨) الصادر في ٢٠١٥/٤/٨، بضرورة التعامل مع هيئة الحشد الشعبي على انها هيئة رسمية ترتبط برئاسة مجلس الوزراء، عملت كافة الوزارات على تقديم الدعم اللوجستي لألوية الحشد الشعبي كلّ إزاء اختصاصه:

- خصصت وزارة النقل اكثر من ٥٠٠ عجلة لنقل الدعم اللوجستي وافراد الحشد الشعبي لمناطق سكناهم^(٦٥).

- شكلت وزارة النفط لجنة مركزية لدعم الحشد الشعبي في مختلف الأصعدة^(٦٦).

- قيام وزارة التجارة بارسال ١٠ شحنات من المواد الجافة كل شهر الى قطعات الحشد الشعبي وانشاء مخازن لهذه المواد بالقرب من مواقع القتال والتبرع بالآليات لهيئة الحشد الشعبي، إضافة الى تنظيم حملات تبرع بالدم لجرحى الحشد الشعبي^(٦٧).

- قيام وزارة الصحة بإرسال الكوادر الطبية لمرافقة الحشد الشعبي في المعارك، إضافة الى تنظيم ٩ حملات كبرى للبرع بالدم وتخصيص جناح كامل من كل مستشفياتها الرئيسية الى جرحى المقاتلين، وإعادة تأهيل طبابة للحشد الشعبي باسم مديرية طبابة الحشد الشعبي^(٦٨).

فضلاً عن ذلك اعتبرت جميع الدوائر الحكومية الموظفين المتفرغين للعمل في صفوف الحشد الشعبي مستمرين بالخدمة وتحتسب سنوات التفرغ من الخدمة الاصلية للموظف في دائرته^(٦٩)، ويأتي ذلك بسبب حاجة الحشد الشعبي الى خدماتهم وخبراتهم في مجالات غير العسكرية.

ادى هذا الدعم الذي حضي به الحشد الشعبي من المؤسسات الحكومية والغير حكومية والتأييد الشعبي الى تكامل تجربة الحشد الشعبي في العراق من حيث المقومات اللوجستية والعسكرية، الامر الذي آتى بنتائج ميدانية حققها الحشد الشعبي، بسبب تكاتف جميع المؤسسات في سبيل إنجاح اهداف الحشد الشعبي في تحرير المدن التي يسيطر عليها تنظيم داعش.

المطلب الرابع: الاعلام الحربي (War Media):

يُعرّف الاعلام الحربي بأنه جمع وتحليل ومعالجة البيانات والمعلومات والصور والحقائق والرسائل والتعليمات من كافة المصادر عن أنشطة القوات المسلحة والتأكد من مصداقيتها وصياغتها بأسلوب يتقبله المجتمع ونشرها محليا وخارجيا، ويعتبر الاعلام الحربي احد فروع الاعلام الذي يمثل ركيزة هامة في بناء الامن الوطني للدولة والمرآة التي يرى فيها المواطن قواته المسلحة وما يدور داخلها، ويتعرف على طبيعة الدور الذي تؤديه قواته المدافعة وقت الحروب، من خلال استخدام وسائل الاعلام المختلفة (المرئية والمسموعة والمقروءة، ويؤدي الاعلام الحربي مهام متعددة أهمها^(٧٠):

- ١- المساهمة في تحقيق الامن الوطني من خلال بناء المواطن، وتعزيز روح الانتماء للوطن.
 - ٢- اعداد قوى الشعب للدفاع ضد أي عدوان من خلال تعريفه بأهداف الحرب وشرح ابعاد قضية الصراع وغرس روح التضحية والبذل والتهيئة النفسية والمعنوية.
 - ٣- تزويد الشعب والقوات المسلحة بالمعلومات الصحيحة وإحباط نوايا الحملات المضادة التي تهدف إلى إضعاف الروح المعنوية أو التأثير على التلاحم بين الشعب والقوات المسلحة.
- والاعلام الحربي يرتبط بوثاقة مع الازمات التي تمر بها الدول، فالعراق وهو يمر بمرحلة فيصلية مهمة تتمثل في الحرب على اكثر القوى الإرهابية فتكا وهو تنظيم داعش، بحاجة ماسة لتفعيل دور الاعلام الحربي

بسبب غياب الاعلام عن مشهد التواصل مع كثير من مناطق البلاد وخوف القنوات التلفازية من نقل المعارك وتوثيقها لذا فقد عقدت هيئة الحشد الشعبي اجتماع في ١١ حزيران ٢٠١٤م ضم كل من: الدكتور ستار جبار غانم (نائب في مجلس النواب العراقي) والإعلامي مهند العقابي ونائب الأمين العام لهيئة الحشد الشعبي جمال جعفر محمد علي (أبو مهدي المهندس) افرز عن تشكيل فريق تحت عنوان "خلية الاعلام الحربي" او "مديرية اعلام الحشد الشعبي" لغرض تقديم خدماتها الإعلامية المتنوعة لتشكيلات الحشد الشعبي وتوثيق جهودها في المعارك عبر المشاركة الفعلية فيها وضمان الحقوق الإعلامية للمقاتلين، فتحت المديرية الباب امام جميع الصحف الوطنية العراقية والطاقت الإعلامية للانضمام الى هذا الاعلام^(٧١) عمل فريق الاعلام الحربي على تحصيل مجموعة من النتائج الميدانية أهمها^(٧٢):

- ١- نقل الاخبار العسكرية العاجلة من عمق المعارك للمتلقي وبصورة انية عبر منصاتها الالكترونية.
- ٢- حفظ منجزات الحشد الشعبي الميدانية من التشويه والتلاعب من خلال تبوؤها المنصب الراعي الرسمي في نقل مجريات الاحداث العسكرية، حيث أصبحت مديرية الاعلام المصدر الأول والاقرب الى جميع القنوات والمنصات الإعلامية في نقل المواد الإعلامية الحربية عبر قسم " المراسلين الحربيين " و"المصورين الحربيين".
- ٣- شحن همم المقاتلين من خلال اسنادهم إعلاميا بالأناشيد والأشعار والالغاني الحربية وإقامة المحافل التكريمية التي تمجد بطولاتهم تضحيات الشهداء والجرحى من خلال تأسيس فريق متخصص باسم "فريق الانشاد الحربي الخاص بهيئة الحشد الشعبي" الذي اخذ على عاتقه مواكبة الانتصارات خطوة بخطوة.
- ٤- تأسيس شعبة للدراسات والبحوث والتي تختص بكتابة المقالات واعداد الدراسات العلمية عن الحشد الشعبي ومعاركه ودواره الأخرى.
- ٥- افتتاح قسم خاص بالحرب النفسية عبر صفحات التواصل الاجتماعي اذ برز دور هذا القسم بشكل كبير بعد التأثير الذي حققته الصورة والمشهد وصولا الى الانهيار الادراكي (وهو الانهيار الذي يأتي دون قتال عبر إرهاب العدو وترسيخ ثقافة الهزيمة في هيكليته) ويختص هذا القسم بشكل دقيق على شن حملة

مدروسة وبأسلوب علمي ضد العدو وإقناع أنصاره ومن غرروا به ببطلان قضيته وإنذاره بالفشل وخفض الروح المعنوية لأفراده.

٦- تأسيس فريق استطلاعي لغرض تأمين كوادر الاعلام الحربي ودراسة جغرافية المناطق التي يتواجد فيها تنظيم داعش لتهيئة الأجواء اللازمة للتصوير الحربي، اضافة الى ذلك توفير احتياجات المصورين الحربيين لوسائل الاعلام التي تنقل معارك الحشد الشعبي ضد تنظيم داعش.

٧- المساهمة في نشر وتعميم التعليمات والضوابط والالامر العسكرية والإدارية الصادرة من رئاسة الهيئة الى الوية الحشد الشعبي العسكرية وصولاً الى الافراد من خلال قسم النشر والتوزيع.

٨- المساهمة في إعادة النازحين الى مناطقهم بعد إيصال حقيقة الامن في المناطق المحررة ونقل الحياة الطبيعية لتعزيز السلام في سكتاهم.

الهوامش:

(١) الشيخ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ت: احمد الحسيني، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - ٢٠٠٧، ج٣، ص١٠٦.

(٢) الشيخ محمد امين الاسترابادي، البراهين القاطعة، ط١، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - قسم إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، إيران - ٢٠٠٣، ج ١، ص ٤٣٠.

(٣) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة - ١٩٨٣م، ص٦٦.

(4) Chris .H, Theory self Sacrifice Presentism, Southern California, University Press- 2011, pp 18-36.

(5) William Minor, Oxford English Dictionary, Publisher: Oxford University Press, part 1: A-P , Oxford City - 1987 ad . p 387.

(٦) مجموعة مؤلفين، معجم المصطلحات الأخلاقية، ط١، مركز باء للنشر والدراسات، بيروت - ٢٠٠٦، ص٢٢-٢٦.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

- (٨) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٢، ص ٩٨.
- (٩) الشيخ أبو الصلاح تقي الدين الحلبي، الكافي في الفقه، مكتبة الامام امير المؤمنين العامة، أصفهان - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٤-٣٥.
- (١٠) السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، ط ٨، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - ١٩٨٣، ص ١٢٥.
- (١١) يشترك مصطلح "الدفاع الشرعي" في الفقه القانوني والفقه الشرعي الإسلامي، ويعرف بأنه: تولي الشخص المعرض للاعتداء من ضرر أو غيره صده بفعل مؤثر من قتل أو ضرب أو جرح حين يتعذر عليه التخلص من الاعتداء أو خطره إلا بهذا الفعل المؤثر.
- للمزيد ينظر: كامل سعيد، الاحكام العامة للجريمة في قانون العقوبات، ط ١، عمان - ١٩٨١، ص ١١٠.
- (١٢) عبد الأمير كاظم زاهد، قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر، منشورات المنتدى الوطني للفكر والثقافة، النجف الاشرف - ٢٠٠٨، ص ٢٨٢.
- (١٣) محمد الرحموني، الجهاد من الدعوة الى الدولة، دار الطليعة، بيروت - ٢٠٠٢، ص ١٩٩.
- (١٤) السيد محمد سعيد الحكيم، أصول العقيدة، ط ١، دار الهلال، بيروت - ٢٠٠٦، ص ٣٤.
- (١٥) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ط ٢، مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، قم - ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ١٤، ص ٣٨٣-٣٨٤.
- (١٦) مهدي رضا عباس، سوسيولوجيا الدين الشعبي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة القادسية - ٢٠١٥، ص ٨٦.
- (١٧) ينظر ملحق (٢٠) وثيقة المدينة رقم (٣٤) لتنظيم داعش في نينوى.
- (١٨) احمد حسين محمد حسين، العقيدة العسكرية الإسلامية، ط ١، مكتبة وهيبة، القاهرة - ١٩٩٨م، ص ١١.
- (١٩) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٦٤ - ١٦٥.
- (٢٠) الشيخ جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن، ط ١، مؤسسة الامام الصادق، قم المقدسة - ٢٠٠٧، ج ٧، ص ٤٩٢.
- (٢١) نصر الله نجاة بخش، الجهاد في فقه الشيعة ومقارنته في الجهاد في فقه السنة، ت: علي حسين نجاد، ط ١، دار نشر مهري، لندن - ٢٠١٧، ص ١٠٦-١١٠.
- (٢٢) بيرت تشابمان، العقيدة العسكرية دليل مرجعي، ت: طلعت الشايب، ط ١، المركز القومي للترجمة، القاهرة - ٢٠١٥، ص ٨-١٢.

(23) Colin S. Gray, The strategy bridge: theory for practice, Oxford University Press, Oxford-2010. p19.

(24) Aaron P. Jackson, The Roots of Military Doctrine: Change and Continuity in the Practice of Warfare (Fort Leavenworth, KA: Combat Studies Institute Press – 2013, pp 8-14.

(٢٥) وسام إسماعيل براهيم، العقيدة العسكرية مفهومها وتأثيرها في بناء الجيش العراقي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الأركان المشتركة، بغداد – ٢٠١٥، ص ٢-٤.

(٢٦) حرب العصابات: ظهر في فترة الحرب الباردة مصطلح حرب العصابات والذي يعني: شكل خاص من اشكال القتال يدور بين قوات نظامية وبين تشكيلات مسلحة تعمل وفق مبدأ او عقيدة بالاعتماد على السكان المحليين. وقد كانت حرب فيتنام التي خسرتها الولايات المتحدة الامريكية بسبب عدم قدرتها على مواجهة استراتيجية حرب العصابات التي شنّها الفيتكونغ او شيوعي فيتنام الشمالية المدعومين من الاتحاد السوفيتي والصين والتي كانت تعتبر بحسب نظريات الاحتمالات في العلاقات الدولية مباراة صفرية بمعنى انها بالنسبة للفيتناميين تدمير العدو الامريكي حتى الرمق الاخير وهذا ما حدث فعلا في بواكير سبعينيات القرن المنصرم

للمزيد ينظر: جون ستون، الاستراتيجية العسكرية سياسة واسلوب الحرب، ط١، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بو ظبي-٢٠١٤، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢٧) عبد الحسين شعبان، بغداد – واشنطن: أي مقايضة للاحتلال العسكري في حيثيات الاتفاقية العراقية – الامريكية، ط١، دار الساقى، بيروت – ٢٠١١، ص ٥٤.

(٢٨) أوستن لونج، الحروب اللامتماثلة في القرن الحادي والعشرين، عن كتاب: مجموعة باحثين في الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، ط١، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بو ظبي، ٢٠١٤، ص ٢٤.

(٢٩) ينظر ملحق (٢١)، قرار رئاسة الوزراء العراقية رقم (١٣٨).

(٣٠) عبد المنعم فهمي سعد، التخطيط للتربية الاجتماعية، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة-٢٠٠٦، ص ١٣٢.

(٣١) يوسف لازم، أسس النمو الإنساني التكويني والوظيفي، ط١، دار دجلة، عمان – ٢٠١١، ص ١٦.

(32) Ellen Churchill Semple, Influences of Geographic Environment: on the Basis of Ratzel's System, press Hennery Holt and his company, New York – 2007, p22-26

(٣٣) مضر خليل العمر ومحمد احمد عقلة المومني، جغرافية المشكلات الاجتماعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، اردب – ٢٠٠٠م، ص ١٣ – ٢١.

- (٣٤) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦-٨.
- (٣٥) حكمت عبد الله البزاز، العولمة والتربية، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد - ٢٠٠١، ص ٣٥-٣٦.
- (٣٦) مانع بن محمد بن علي، القيم الأخلاقية بين الإسلام والغرب، ط ١، دار الفضيلة، الرياض - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢١-٢٢.
- (٣٧) ليلي داود، واحمد الاصفر، السلوك الاجتماعي خصائصه ومظاهره، ط ١، دمشق - ٢٠٠٨، ص ٣٢٤.
- (٣٨) فلاح صالح حسن وسعد علوان حسن، القيم الروحية في الفلسفة الإسلامية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإسلامية، العدد ٧، مج ٢١٥، ٢٠٠٨، ص ١٤٤-١٤٥.
- (٣٩) محمد عبد المولى، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجلاوي، القاهرة - ١٩٨٧، ص ١٥.
- (40) The Cambridge Companion to Nietzsche, ed. B.Magnus and K.M.Higgins, Cambridge University Press, 1999, p21.
- (٤١) محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص ١٤٨.
- (٤٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٩، ج ١، ص ١٨١-١٨٢.
- (٤٣) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة باريس سنة ١٨٨٥م، مكتبة لبنان، بيروت، مج ١، ص ٢٣٥.
- (٤٤) خالد عبد الرحمن، العصبية القبلية من المنظور الاسلامي، ط ١، دار الالوكة للنشر، الرياض - ٢٠١٦، ص ٢٤.
- (٤٥) علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، ط ٢، منشورات دار ليلي، لندن - ٢٠٠١، ص ٥٠.
- (٤٦) إبراهيم، زكريا، مشكلات فلسفية، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة - ١٩٦٦م، ص ١٣.
- (٤٧) يحيى هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، ط ٩، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٣.
- (٤٨) علي شريعتي، الاخلاق، ت: بشير محمد، ط ١، دار الأمير، بيروت - ٢٠٠٦، ص ٣٥-٤٠.
- (٤٩) ياغو سالمون، ثورة المنظمات شبه العسكرية، ط ١، المعهد العالي للدراسات الدولية، جنيف - ٢٠٠٧، ص ١٠.
- (٥٠) التعامل الانساني لمجاهدي الحشد الشعبي مع النازحين في الحويجة، ٢٧ مارس ٢٠١٧، متاح على الرابط:

<http://al-hashed.net/2017/03/27->

- (٥١) مركز المعجم الفقهي، معجم المصطلحات، ط١، دار ردمك للنشر، بلاث، بيروت، ص٢٤٥٦.
- (٥٢) تشارل ليبمان، مصدر سابق، ص١١.
- (٥٣) فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر: العقد الجمهوري الأول، ت: مصطفى نعمان احمد، ط١، بغداد - ٢٠٠٠م، ص ١٠ وما بعدها.
- (٥٤) باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت - ١٩٩٩، ص٢٦٣.
- (٥٥) قبل انقلاب "١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ كان الجيش العراقي يتكون من اربع فرق عسكرية قوامها ٦٠ ألف جندي وكان حينذاك عدد سكان العراق في عام ١٩٥٧ نحو خمسة ملايين نسمة اي انه كان من بين كل ألف نسمة من الجنسين ومن كل الاعمار نحو سبعة عشر عسكريا عراقيا. بعد الانقلاب اخذت الحكومات المتعاقبة تبدي اهتماما متزايدا بالجيش من حيث الاعداد والتسليح انطلاقا من ان رؤساء تلك الحكومات كانوا في غالبيتهم من العسكريين.. لكن تاريخ العراق يشهد وبشكل ملحوظ انه بعد عام ١٩٦٨ بدأت عمليات مبرمجة لتسييس الجيش العراقي.. وفيما ارتفع عدد سكان العراق الي ثمانية ملايين كان عدد الجيش يزداد باضطراد فوصل الي خمسة وسبعين ألف جندي فتجاوز افراد الجيش نسبة السكان وهي جندي لكل ١٥ ألف نسمة. وابتدأ فصل جديد حينما اقل البعثيون بداية المواقع الحساسة والوزارات امام عموم الشعب فأصبحت بالتدريج لا يدخلها الا البعثيون او المنتمون الي الحزب مهما كانت درجاتهم وتحول الجيش بعدها الي اداة بيد القيادة الحزبية.. وأصبح تسييس الجيش مهمة اساسية فأزيح وأبعد وسجن وأعدم الكثيرون من ضباطه الاكفاء من اصحاب الخبرات، وعند وقف إطلاق النار مع إيران عام ١٩٨٨ بلغ عدد افراد الجيش والمليشيات والاجهزة الامنية نحو مليونين ونصف المليون في بلد تعداد نفوسه ١٨ مليونا فاذا استثنينا الاناث فان هناك ما مجموعه ٢٧٨ شخصا يعملون في المجهود الحربي والامني مقابل كل ألف يعملون في المجهود المدني.
- للمزيد ينظر: مثني الطبقجلي، قصة الجيش العراقي وسقوط صدام (١-٣)، جريدة (الزمان)، العدد ١٦٧٩، ١٢/٨/٢٠٠٣.
- (٥٦) منير البعلبكي، قاموس المورد، ط٣٩، دار العلم للملايين، بيروت - ٢٠٠٥، ص٥٧٨.
- (57) Joseph H. H. Weiler, Looking Back At The American Invasion Of Iraq In 2003, Graduate Institute Geneva Press, Geneva- 2014, P22.
- (58) Hussein Abdul Kareem Yaqoob, Iraqi Tribal Disputes: A Sociopragmatic study, University of Basra – college of Arts, magazine of Adab Al- Basra, Journal Number 78, 2019, p3-5.
- (٥٩) ينظر ملحق(٢٢) هيئة الحشد الشعبي - الإدارة المركزية، بيانات غير منشورة، ٨/١، ٢٠١٩م.

- (٦٠) محمد عبد المعنم شعيب، الإدارة المعاصرة: اللوجستيات، ط١، دار المنهل ناشرون، عمان-٢٠٠٥م، ص٢٣.
- (61) Beth F. Scott, Air Force Journal of Logistics, DIANE Publishing, Pennsylvania – 2001, PP 80–81.
- (٦٢) الأمانة العامة للعتبة العلوية، غرفة العمليات: لجنة الارشاد والتعبئة للدفاع عن عراق المقدسات، بيانات غير منشورة ٢٠١٩/٩/١. وهيئة الحشد الشعبي، مكتب النجف الاشرف، بيانات غير منشورة، ٢٠١٨/٧/١.
- (٦٣) وصول ٥٠٠ قافلة للدعم اللوجستي الى جبهات القتال، موقع السومرية نيوز، ٢٠١٧/٣/١٧، متاح على الرابط: <https://www.alsumaria.tv/news/198225>.
- (٦٤) السيد احمد الصافي، خطبة الجمعة، كربلاء - ٢٤/١٠/٢٠١٤، متاح على الرابط: <https://www.imamhussain.org/fridaysermon/5932> -
- (٦٥) وزارة النقل العراقية، بيانات غير منشورة، ٢٠١٧/١٠/١.
- (٦٦) وزارة النفط، اللجنة المركزية لدعم الحشد الشعبي، بيانات غير منشورة، ٢٠١٥/١/١٠.
- (٦٧) وزارة التجارة، نشاطات الوزارة، ٢٠١٨/٥/٣٠، متاح على الرابط : <http://www.mot.gov.iq/index.php?name=Pages&op=page&pid=85>
- (٦٨) وزارة الصحة، دائرة صحة النجف الاشرف، بيانات غير منشورة، ٢٠١٧/١٠/١. ودائرة صحة بغداد، ٢٠١٦/٧/٤، دائرة صحة ديالى، ٢٠١٨/٤/٣.
- (٦٩) ينظر ملحق (٢٢)، قرارات مجلس الوزراء، ٢٠١٧/٥/٢٧.
- (٧٠) علي عبد الفتاح، الاعلام الحربي والعسكري، ط١، دار الكتاب، بيروت - ٢٠١٦، ص٣-٦.
- (٧١) نور سعدون كاظم، اعلام الحشد الشعبي قبل وبعد تأسيسه، ط١، دار الكفيل، كربلاء المقدسة - ٢٠١٦، ص٢٦-٢٧.
- (٧٢) المصدر السابق نفسه، ص٢٨-٣٩.

